

عام ١٩٧٣ « هناك بديل واحد لوهم الطاقة اللامتناهية والرخاء اللامتناهي في اميركا . ذلك هو الاخذ بأخلاق التوفير ، ليس التوفير القائم على تخفيض درجة الحرارة في البيوت ، وانما التوفير عن طريق التمييز بين التيارات الاجتماعية الصائبة والخيارات الاقل صوابا ، الامر الذي يحتم البحث عن قيم حياتية وخلقية جديدة . على سبيل المثال ، سيكون جنونا استمرار الادارة الاميركية في تنفيذ مشروع بناء اوتوستراد جديد عبر البلاد . ان تغيير عادات الاميركيين في مجال استهلاك الطاقة أمر ليس سهلا ، بل عملية معقدة جدا . لكن الصعوبة تزول اذا بدأنا بتغيير القيادة في البلاد . بكلها من اخرى يجب ان نحصل على قادة لا يدغدغون خواصنا بالوعود الفارغة حول الرخاء والكفالية ، وانما يحثوننا على اتباع حياة افضل ، حياة مشاركة العالم الثالث كل ما نملك . هذا هو الطريق الوحيد للقضاء على الكابوس الدارويني المطلق فوق رؤوسنا » . وقال الكاتب والمفكر السويسري دنيس دي روجيمونت « العرب أثبتوا ان اوروبا لا مكان لها على مستوى الحكومات . فني كل مؤثر قمة اوروبي جديد ، تكشف عن المزيد من خلافتنا . العرب جعلونا نعد الى الهروب . من ناحية اخرى فان شبح كارثة اقتصادية يمكن ان يكون الهزة القوية التي تحتاجها اوروبا . على اساس هذا لا بد من توجيه الشكر لشيوخ البترول وامرائه . لقد كنا دائما اشبه بالمعجزة الذين لا يغيرون معيشتهم الا اذا وقعت كارثة . الان صار بإمكاننا تغيير نمط معيشتنا بشد احزمتنا وبالتركيز على البحث العلمي وبالسعي لبناء وحدة اوروبية غير مزيفة » .

وبعد ، هل يواكب العرب هذه النظورات والتحولات المذهلة والمعقدة ، باسراع الخطو على درب انتهاء الوجود الاميريالي الصهيوني في الشرق الاوسط ، ودعم الثورة الفلسطينية دون تردد او تحفظ ، واداء دورهم الحضاري في عالم اليوم ؟ فهم يملكون كل شيء .. المال والسلاح والمنطق والتأثير . اذا وعوا قيمة ما يملكون ، واذا سارعوا الخطى في مجالات رفح المجتمعات العربية الى مستوى العصر ، واذا انقضوا بغنائس اموالهم افريقيا وليس الحكومات والدول التي تمثل عالم الصناعة المسيطر على مصائر الشعوب ، اذا فعلوا كل ذلك اخذهم الآخرون مأخذ الجد في مقبل الايام أيضا .

عقيل هائيم

الرخاء والاستهلاك الى الطريق المسدود معناها القضاء على مخططاتها واهدافها واطمأنها . وحكومات البرجوازية لا تحرص على التمسك بالحكم الا للحفاظ على مصالح الطبقات التي تمثلها . وسلاحها دائما هو الوعود الرنانة ولاء المعد . وعندما ووجهت بامتحان عسير ، ظهرت وعودها كنفقات الهواء وراحت مبادؤها ومثلها تهوي واحدا بعد الاخر . كانت تتبجح دائما بتفوقها العلمي على اجزاء العالم الاخرى على اساس انه الضمانة ضد التقهقر الاقتصادي والاجتماعي . عند الامتحان ثبت ان هذه الضمانة لا وجود لها . كانت دائما تنكر على العرب حقهم في الدفاع عن قضاياهم العادلة ، بحجة ان العرب ظالمون يغطون تأخرهم بالاعتداء على دولة ديموقراطية صغيرة مسالمة . وامام التجربة الحقيقية ثبت ان اهتمامهم باسرائيل ينتهي عند طلوع العرب على العالم طلعة الجنود المظفرين القادرين على غرض اراتهم على من يسيء اليهم . فجأة صار وصف العرب بالبرابرة امر محرم على الافواه . صار حق اسرائيل بالبقاء من شأن اسرائيل وحكومة اميركا فقط . صارت شععارات ادانة اليهود التي ظهرت في اميركا على السيارات من شأن اصحابها فقط .

ملاح التغيير المقبل على عقليات الناس تشير الى ان الناس سيقبلون قريبا على مرحلة فكرية جديدة تكون محاسبة النفس وانظمة الحكام من اعمدتها الراسخة . والمراقب المقيم في الغرب اصبح يرى البدايات منذ الان . ولا ريب على هذا الاساس ، ان الانسان الغربي سيدرك خلال وقت ليس ببعيد كيف تحقق رفاهه المادي على حساب الملايين من اهل الارض الذين لا يعثرون حتى على رغيف الخبز . وسيدرك انه كان مجفرا في كل شيء ، لانه كان يملك الكثير من كل شيء . قال مسمير رئيس وزراء فرنسا في ٢٠ كانون الثاني من عام ١٩٧٣ « ان هدف القتاتون الذي يخفض سرعة السوافة على الطرق هو زرع روح التوفير عند الناس » . واغلب الظن ان الانسان المبحر اذا ما فرضت عليه اوضاع جديدة تحتم عليه التوفير في استهلاكه للطعام والوقود والمشتريات الاخرى ، سيتعرض لتغيير جذري في وعيه الانساني يحصنه ضد استغلال المستغلين ويصوب سلوكه الاجتماعي في قوالب جديدة . قال الكاتب الاميركي انتوني لويس في الهيرالد تريبيون بتاريخ ٤ كانون الاول من